

الإيمانُ بِالْكِتَابِ وَتَمَرَاتُهُ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُثِيبِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمَ الْمُرْسَلِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ الْأَيِّمَةِ الْمَهْدِيِّينَ وَاتَّبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عِبَادُ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، فَلَا بَدَّ أَنْ يُؤْمِنَ الْمُسْلِمُ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللَّهِ الْمَنْزَلَةِ عَلَى رُسُلِهِ الْكَرَامِ؛ لِيَبْلُغُوا بِهَا دِينَهُ وَشَرْعَهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَذَلِكَ حَتَّى يَكْتَمِلَ إِيْمَانُ الْمُسْلِمِ وَتَصِحَّ عَقِيدَتُهُ.

الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ هُوَ الرُّكْنُ الثَّلَاثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يَتَضَمَّنُ التَّصَدِيقَ الْجَارِمَ بِأَنَّ جَمِيعَهَا مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً فَمِنْهَا الْمَسْمُوعُ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ يَدُونُ وَاسِطَةَ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ، وَمِنْهَا مَا بَلَغَهُ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ، وَمِنْهَا مَا كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وَقَالَ فِي شَأْنِ التَّوْرَةِ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ تَفْصِيلًا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ تَفْصِيلًا وَهِيَ الْكُتُبُ الَّتِي سَمَّاها اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ؛ وَهِيَ الصُّحُفُ الْمُنْزَلَةُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالتَّوْرَةُ الْمُنْزَلَةُ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالزَّبُورُ الْمُنْزَلُ عَلَىٰ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلُ الْمُنْزَلُ عَلَىٰ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ خَاتَمَهَا الْمُصَدِّقُ لَهَا وَالْمُهَيِّمُنُ عَلَيْهَا وَاشْمَلُهَا وَأَكْمَلُهَا وَأَعْظَمُهَا الْمَوْجَّهَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ عَلَىٰ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَمَا ذَكَرَ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ إِجْمَالًا وَجَبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهِ إِجْمَالًا وَتَصَدِّقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفَ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِذَلِكَ: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.

وَالْقُرْآنُ حَاكِمٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْكُتُبِ وَمُصَدِّقٌ لَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾، يُصَدِّقُ مَا فِيهَا مِنَ الصَّحِيحِ، وَيَنْفِي مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ وَتَغْيِيرٍ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا بِنَسْخِ، أَوْ تَقْرِيرٍ وَتَشْرِيعِ أَحْكَامٍ جَدِيدَةٍ.

وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُتَّبِعٍ لِلْكُتُبِ السَّابِقَةِ أَنْ يَوْمِنَ بِالْقُرْآنِ وَيَتَمَسَّكَ بِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ

يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ).

وَلِلْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ آثَارُهُ الْعَظِيمَةُ وَثَمَرَاتُهُ الْجَلِيلَةُ عَلَى حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ: الْعِلْمُ بِعِنَايَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ حَيْثُ أُنْزِلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ وَصَلَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا يَقْتَضِي الْقِيَامَ بِوَاجِبِ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَمِنْهَا: ظُهُورُ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الْكِتَابِ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا يُنَاسِبُ أَحْوَالَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاةً﴾، وَكَانَ خَاتَمُ الْكِتَابِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مُنَاسِبًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَبَيَانُ أَنَّ جَمِيعَ الْعَقَائِدِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الْكِتَابُ وَاحِدَةٌ وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنَّ الشَّرَائِعَ مُخْتَلِفَةً بِحَسَبِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

وَمِنْهَا: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ كَلَامَهُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ، وَبَيَانُ عَجْزِ الْمَخْلُوقِينَ عَنِ الْإِثْنَانِ بِمِثْلِ كَلَامِهِ.

وَمِنْ الْآثَارِ الْجَلِيلَةِ لِلْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ: أَهَمِّيَّةُ الْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، بِقِرَاءَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَفْهَمِ مَعَانِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَالسَّيْرُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمَةٍ وَاضِحَةٍ لَا اضْطِرَابَ فِيهَا وَلَا اعْوَجَاجَ، وَالْإِرْتِقَاءُ بِبَنِي آدَمَ مِنْ حَضِيضِ أَفْكَارِ الْبَشَرِ إِلَى هَدْيِ السَّمَاءِ، وَتَحْرِيرُهُمْ مِنَ التَّخَبُّطِ الْفِكْرِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ.

فَعَلَى الْآبَاءِ وَالْمُرَبِّينَ أَنْ يَغْرَسُوا فِي نُفُوسِ النَّشِ الْمُسْلِمِ
التَّصَدِيقَ الْجَازِمَ بِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رُسُلِهِ، وَأَنَّ
الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً وَمُهِيمٌ عَلَى مَا سَبَقَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَلِلنَّاسِ كَافَّةً،
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَالذَّبُّ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ
وَتَعْظِيمُهُ وَإِحْتِرَامُهُ؛ فَهُوَ كِتَابٌ كَرِيمٌ مَجِيدٌ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَيْعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ أَبْصَارِنَا وَجِلَاءَ
أَحْزَانِنَا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ
لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَكَفَى، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، وَبَعْدُ؛ فَاتَّقُوا
اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- حَقَّ التَّقْوَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ
إِتِّبَاعُ الْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَالتَّمَسُّكُ بِهِ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ؛ كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾،
﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَذَلِكَ
بِاخْتِلَالِ حَلَالِهِ، وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ، وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمُ بِمُتَشَابِهِهِ،
وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَالْإِنْقِيَادُ لِأَوَامِرِهِ وَرَوَاجِرِهِ، وَالْإِعْتِبَارُ
بِأَمْثَالِهِ، وَالْإِتْعَاطُ بِقَصَصِهِ، مَعَ الْعِنَايَةِ بِحِفْظِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ،
فَفِي ذَلِكَ الْقُوْرُ وَالْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ وَالنَّجَاحُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ،
وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ
سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا
وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ
وَتَرْضَى، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ؛
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ،
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ،
وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

•• | لمتابعة الخطب على: (قناة التليجرام) / <https://t.me/alsaberm>